

الرَّسَالَةُ ١٧١

إِيَّاكَ وَذَلِكَ الْبَارَّ!

(Arabic – He is innocent Man!)

أحبائي.. حديثنا اليومَ مَوْضُوعُهُ: إِيَّاكَ وَذَلِكَ الْبَارَّ!

ومن إنجيل متى الأصحاح السابع والعشرين نقرأ العدد التاسع عشر:

"وإذ كان بيلاطس جالسا على كرسيّ الولاية. أرسلت إليه امرأته قائلة: إِيَّاكَ وَذَلِكَ الْبَارَّ. لأنّي تألمت اليوم كثيرا في حلم من أجله".^١

كل واحد منا يشغل مركزا معيناً في المجتمع الذي يعيش فيه. قد يبدو ذلك المركز الذي تشغله صغيراً في نظرنا ونرجو الأفضل منه. وربما يبدو كبيراً مرئوفاً في نظرنا وفي نظر الناس. وقد يكون له اعتبارُهُ عندنا وعندهم ويمكن استغلاله لصالحنا وإصالحهم كما حدث مع بيلاطس البنطي. وربما وضعت على عاتقنا مسؤولياتٌ متتوعة قد تكون على قدر طاقتنا وقد تظهرُ جسيمةً ونتمنى لو رفعت عن كاهلنا. إن الله جل جلاله وضع خطةً لحياة كل فردٍ منا ويحكم علينا تبعاً لأمانتنا فيما نعملُ وتبعاً للهدف الذي نرمى إليه إن كان لمجدِهِ أو لمجدِ ذواتنا.^٢

لقد شغل الله الأرض بنا. وهو الذي حدّد مراكزنا ووزّع علينا مسؤولياتنا. وهو يزن الأمور بميزان يختلف عن موازيننا. وينظر إلى أي مدى نحن نتكل عليه ونضع ثقتنا فيه. ويرى أمورنا هل سلمناها بالكامل بين يديه أم وضعناها تحت تصرف عدو الخير. هل حقاً نحن نرضى بمسئليته ونخضع لإرادته أو أننا نسعى للحصول على أشياء تشبع شهواتنا الجسدية ورغباتنا النفسية التي لا تتفق مع إرادة الله ولا تحقق مشيئته. لقد جاء برسالة بولس الرسول إلى مؤمني رومية وصفاً للطبيعة البشرية في حقيقتها من زيغان وفسادٍ إذ مكتوب: "ليس من يفهم. ليس من يطلب الله. الجميع زاغوا وفسدوا معاً. ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحداً. حذرتهم قبرٌ مفتوح. بألسنتهم قد مكروا. سبّ الأصنام تحت شفاههم. وفهمهم مملوء لعنة ومرارة. أرجلهم سريعة إلى سفك الدم".^٣

إننا كبشر نحكم على الأحداث بتفكيرنا المحدود السطحي. ونقيس الأمور بمقاييس العالم الحاضر. وكثيراً ما يختلط علينا الأمر ونندفع مع تيار الأنظمة البشرية وحكمها على الأمور الجارية. وبتصورنا تصوراً خاطئاً أنه كما على الأرض كذلك في السماء. والحقيقة أن طرق الله تختلف عن طرقنا وأحكامنا تختلف عن أحكامه. لذلك يقول الرب في سفر إشعياء: "لأن أفكارى ليست أفكاركم. ولا طرقكم طرقى يقول الرب. لأنه كما علت السموات على الأرض. هكذا علت طرقى عن طرقكم. وأفكارى عن أفكاركم". هذا نراه جلياً واضحاً في محاكمة الرب يسوع قبل صليبه. إن تدبيرات بشرية بايعاز من إبليس اجتمعت وتأمرت على الرب ومسيحه. كان التدبير الإلهي لخبر البشرية. ولكن حماقة العقل البشري وموازرتة لخطط إبليس أبعدتهم عن تقبل ما أعدّه الله لخلاصهم من الخطية وتحريرهم من العبودية. "وحكموا على البار الذي لم يعمل ظلماً ولم يكن في فمه غش".^٤

لقد جاء رؤساء الكهنة والشيوخ بالرب يسوع مؤثماً ودفعوه إلى الوالي بيلاطس البنطي الذي كان يعلم أنهم اسلموه إليه حسداً. ولقد أرسلت إليه زوجته أثناء المحاكمة قائلة له: "إِيَّاكَ وَذَلِكَ الْبَارَّ لأنّي تألمت اليوم كثيرا في حلم من أجله". واقتنع بيلاطس بما قالت زوجته. لدرجة أنه أخذ ماءً وغسل يديه قدام الجمع قائلاً: إني بريء من دم هذا البار. كان مركزه ومسئوليته يحولان له أن يحكم بالحق والإنصاف. ولكنه لهدف ذاتي تخلى عن حقه ومسئوليته. وقال للمتأمريين: أبصروا أنتم حرصاً على مركزه خشية أن يفقده لو ساند الحق وعارض الأغلبية.

استمع إلى الإنجيل

^١ إنجيل متى ٢٧: ١٩

^٢ إنجيل يوحنا ١٩: ٤ - ٨

^٣ رسالة بولس الرسول إلى مؤمني رومية ٣: ١٠ - ١٣

^٤ سفر إشعياء ٥٥: ٨ - ٩ & ٥٣: ٩

أَرَادَ أَنْ يَكْسِبَ جَمَاعَةَ الْمُتَأَمِّرِينَ عَلَى الرَّبِّ يَسُوعَ طَمَعًا فِي أَنْ يُسَائِدُوهُ فِي مَرَكزِهِ كَوَالِي. فَأَعْطَاهُمْ مَا لَيْسَ مِنْ حَقِّهِمْ وَسَأَلَهُمْ أَنْ يَبْصُرُوا هُمْ وَيَحْكُمُوا فِي قَضِيَّةٍ هُمْ خُصُومٌ فِيهَا وَأَسْلَمَهُ لَهُمْ لِيُصَلَّبَ. لِلْأَسْفِ مَا عَادَ إِلَى صَوَابِهِ بَعْدَ تَحْذِيرِ زَوْجَتِهِ لَهُ. مَعَ أَنَّهُ كَانَ تَحْذِيرًا بِتَوَجُّهِهِ سَمَاوِيٍّ لِصَالِحِهِ. لَقَدْ تَأَلَّمَتْ زَوْجَتُهُ كَثِيرًا فِي حَلْمٍ مِنْ أَجْلِ الْبَارِ فَحَدَرَتْ زَوْجَهَا لِيَكُونَ أَمِينًا وَعَادِلًا مُنَاصِرًا لِلْحَقِّ. وَلَكِنَّهُ أَسَاءَ إِلَى مَرَكزِهِ كَوَالِي وَأَخْلَ بِمَسْئُولِيَّتِهِ كحَاكِمٍ.^١

لَقَدْ أَعْطَى اللهُ بِيلاطسَ الْبِنطِيَّ مَرَكزًا وَمَسْئُولِيَّةً فَمَا صَانَهُمَا وَلَا تَحَدَّرَ مِنَ الْعَيْثِ بِهِمَا. لَمْ يَكُنْ رَجُلًا شَرِيفًا فَلَقَدْ حَكَمَ حُكْمًا جَانِرًا عَلَى الْبَارِ. مَعَ أَنَّهُ كَانَ مُقْتَبِعًا بِأَنَّهُ بَرِيءٌ مِنَ التَّهْمِ الَّتِي اتَّهَمُوهُ بِهَا زُورًا. وَأَسْلَمَهُ لَهُمْ لِيُصَلَّبَ ثُمَّ غَسَلَ يَدَيْهِ لِيَتَبَرَّأَ مِنْ ذَنْبِهِ. وَلَكِنْ مَا جَدَّوْى غَسَلَ الْيَدَيْنِ بِمَاءٍ؟. فَلَنْ يُطَهَّرَ الْمَاءُ يَدَيْنِ مَلُوثَتَيْنِ بِدَمِ الْبَارِ الْقُدُّوسِ. إِنْ يَسُوعَ الْمَسِيحِ الَّذِي شَهِدَ أَعْدَاؤُهُ بِأَنَّهُ بَارٌّ وَحَكَمُوا عَلَيْهِ بِالصَّلْبِ كَانَ مُمَكِّنًا لَهُ أَنْ يَخْلَصَ نَفْسَهُ مِنْ ذَلِكَ الْحُكْمِ لَوْ أَرَادَ. فَحِينَ سَأَلَ بِيلاطسُ الْوَالِي الرَّبَّ يَسُوعَ أُنْتَاءَ الْمُحَاكَمَةِ: "السُّنْتَ تَعْلَمُ أَنْ لِي سُلْطَانًا أَنْ أُصَلِّبَكَ وَسُلْطَانًا أَنْ أُطْلِقَكَ؟". أَجَابَهُ الرَّبُّ يَسُوعَ قَائِلًا: "لَمْ يَكُنْ لَكَ عَلَى سُلْطَانِ الْبِنْتِ لَوْ لَمْ تَكُنْ قَدْ أُعْطِيتَ مِنْ فَوْقِ". وَلَقَدْ سَبَقَ أَنْ قَالَ الرَّبُّ يَسُوعَ لِلْيَهُودِ: لِهَذَا يُحِبُّونِي الْآبُ لِأَنِّي أَضَعُ نَفْسِي لِأَخْذِهَا أَيْضًا. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْخُذُهَا مِنِّي بَلْ أَضَعُهَا أَنَا مِنْ ذَاتِي. لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَضَعَهَا وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ أَخْذُهَا أَيْضًا".^٢

قَدْ يَسْأَلُ سَائِلٌ: لِمَاذَا احْتَمَلَ الرَّبُّ يَسُوعَ عَارَ الصَّلِيبِ؟. لِمَاذَا ارْتَضَى حُكْمَ الْمَوْتِ؟. الْإِجَابَةُ وَاضِحَةٌ مِنْ كَلِمَةِ اللهِ. فَلَقَدْ قَالَ الرَّبُّ يَسُوعَ عَنْ نَفْسِهِ لِتَلَامِيذِهِ: "إِنَّ ابْنَ الْإِنْسَانَ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيُخْدَمَ. وَلِيَبْدَلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ". لَقَدْ جَاءَ لِخَلَاصِ أَرْوَاحِنَا مِنَ الْهَلَاكِ الْآبِدِيِّ. وَسَيَجِيءُ ثَانِيَةً لِخَلَاصِ أَجْسَادِنَا. فَكَمَا لَبِسْنَا صُورَةَ التَّرَابِيِّ سَنَلْبَسُ أَيْضًا صُورَةَ السَّمَاوِيِّ. كَتَبَ بُولُسُ الرَّسُولُ فِي رِسَالَتِهِ الْأُولَى إِلَى مُؤْمِنِي كورنثوس: "فَأَقُولُ هَذَا أَيُّهَا الْإِخْوَةَ: إِنْ لَحْمًا وَدَمًا لَا يَقْدِرَانِ أَنْ يَرِثَا مَلَكُوتَ اللهِ. فِي لَحْظَةٍ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ عِنْدَ الْبُوقِ الْأَخِيرِ. فَإِنَّهُ سَيَبُوقُ فَيُقَامُ الْأَمْوَاتُ عَدِيمِي فَسَادٍ وَنَحْنُ نَتَغَيَّرُ. لِأَنَّ هَذَا الْفَاسِدَ لَا بُدَّ أَنْ يَلْبَسَ عَدَمَ فَسَادٍ. وَهَذَا الْمَائِتُ يَلْبَسُ عَدَمَ مَوْتٍ". وَيَقُولُ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى تَيْطُسَ: "مُنْتَظِرِينَ الرَّجَاءَ الْمُبَارَكِ. وَظُهُورَ مَجْدِ اللهِ الْعَظِيمِ. وَمُخْلِصِينَ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. الَّذِي بَدَّلَ نَفْسَهُ لِأَجْلِنَا لِكِي يَفْدِينَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ. وَيُطَهِّرَ لِنَفْسِهِ شَعْبًا خَاصًا غَيْرًا فِي أَعْمَالِ حَسَنَةٍ".^٣

مَا مَوْقِفَنَا مِنْ ذَلِكَ الْبَارِ الَّذِي جَاءَ لِيَصْنَعَ صَلَاحًا بَعْدَ عَدَاوَةٍ مَعَ الْآبِ السَّمَاوِيِّ دَافِعًا أَعْلَى ثَمَنٍ؟. لَا بُدَّ أَنَّكَ أَحَى الْقَارِئُ وَاحِدٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ: إِمَّا (١) أَنَّكَ قَبِلْتَ خَلَاصَهُ. أَوْ (٢) رَفَضْتَهُ. أَوْ (٣) أَجَلْتَ ذَلِكَ الْأَمْرَ. أَوْ (٤) أَهْمَلْتَهُ. هُنَيْئًا لَكَ أَحَى إِنْ كُنْتَ قَدْ قَبِلْتَهُ. وَإِنْ كُنْتَ رَافِضًا أَوْ مُوجِّلًا أَوْ مُهْمِلًا. فَاتِي بِكُلِّ إِخْلَاصٍ أَحْذِرْكَ أَحَى. إِذْ كَيْفَ تَرَفُضُ مَنْ جَاءَ لِيَحْمِلَ عَنكَ وَزَرَ خَطَايَاكَ؟. كَيْفَ تَرَفُضُ مَنْ جَاءَ لِيُنْقِذَكَ مِنْ عَذَابِ آبِدِيِّ؟. أَحْذِرْكَ أَحَى. فَيَايَاكَ وَذَلِكَ الْبَارِ! لَقَدْ قَالَ كَاتِبُ الرِّسَالَةِ إِلَى الْعِبْرَانِيِّينَ: "كَيْفَ نَنْجُو نَحْنُ إِنْ أَهْمَلْنَا خَلَاصًا هَذَا مَقْدَارُهُ؟".^٤

مَا مَوْقِفَنَا مِنْ ذَلِكَ الْبَارِ؟. لِنَسَارِعَ إِلَيْهِ وَلَا نَوْجَلُ. لِئَلَّا يَمُضِيَ الْعُمْرُ وَنَحْنُ لَمْ نَتَمَتَّعْ بَعْدَ بَسْلَامِهِ الْعَجِيبِ وَبِالْمَرَكزِ السَّمَاوِيِّ فِي الْآبِدِيَّةِ. إِنَّهَا نِعْمَةٌ وَهَبَةٌ مَجَانِيَّةٌ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ. لَا نَوْجَلُ كَفَيْلِكْسِ الْوَالِي الَّذِي قَالَ لِبُولَسِ الرَّسُولِ بَعْدَ أَنْ سَمِعَ مِنْهُ عَنِ الْبَرِّ وَالتَّعَفُّفِ وَالدِّيُونَةِ: "أَمَّا الْآنَ فَادْهَبْ وَمَتَّى حَصَلْتَ عَلَى وَقْتِ اسْتَدْعَاكَ". وَلَمْ يُسَجِّلِ الْكِتَابَ أَنَّهُ اسْتَدْعَاهُ ثَانِيَةً. وَقَالَ أَغْرِيْبَاسُ الْمَلِكُ لِبُولَسِ: "أَبْقِلِيلِ تَقْبِعْنِي أَنْ أَصِيرَ مَسِيحِيًّا؟". ظَنَّ خَطَأً أَنَّهُ بَاقْتِنَاعِ بُولَسِ يَصِيرُ مَسِيحِيًّا. لَيْسَتْ الْمَسِيحِيَّةُ إِفْتِئَاعًا فِكْرِيًّا وَحَسَبًا أَوْ اجْتِهَادًا شَخْصِيًّا. إِنَّهُ عَمَلُ الرُّوحِ الْقُدُّوسِ فِي الْقَلْبِ الْمَفْتُوحِ لِجِدْدِهِ وَيَسْكُنُ فِيهِ. إِنَّهَا وَلاَدَةٌ ثَانِيَّةٌ. "فَالْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ".^٥

لِيُنْكَ أَحَى تَشْتَرِكُ مَعِي فِي هَذِهِ الصَّلَاةِ: أَبَانَا السَّمَاوِيِّ.. أَشْكُرُكَ لِأَنَّكَ أَعْلَنْتَ لِي حُبَّكَ الْعَجِيبِ. يَا مَنْ ارْتَضَيْتَ أَنْ يُبْدَلَ الْإِبْنُ الْوَحِيدُ فِدْيَةً لِكِي لَا أَهْلِكَ أَنَا. بَلْ تَكُونُ لِي الْحَيَاةَ الْآبِدِيَّةَ. وَأَكُونُ كُلَّ حِينٍ مَعَ الرَّبِّ الَّذِي افْتَدَانِي.. أَرْفَعُ صَلَاتِي فِي اسْمِ يَسُوعَ الْبَارِ مُتَكِلًا عَلَى وَعْدِكَ الصَّادِقِ يَا مَنْ قَلْتِ: مَنْ يَقْبَلُ إِلَيَّ لَا أَخْرِجُهُ خَارِجًا.

أَحَى الْقَارِئُ الْعَزِيزُ.. إِنْ أَرَدْتَ سَمَاعَ تِلْكَ الرِّسَالَةِ أَوْ غَيْرَهَا سَتَجِدُ ذَلِكَ فِي:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ إنجيل لوقا ٢٣: ٤ - ١٢

^٢ إنجيل متى ٢٧: ٢٤ - ٢٦ ، إنجيل يوحنا ١٩: ١٠ - ١٢ & ١٠: ١٧ - ١٨

^٣ إنجيل يوحنا ١٥: ١٣ ، رسالة بولس الرسول الأولى إلى مؤمنى كورنثوس ٥: ٥٠ - ٥٤ ، وفي رسالته إلى تيطس ٢: ١٣ - ١٤

^٤ رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى كولوسي ١: ٢٠ ، الرسالة إلى العبرانيين ٢: ٣

^٥ سفر أعمال الرسل ٢٤: ٢٥ & ٢٦: ٢٨ ، إنجيل يوحنا ٣: ٦